العرب
الأحد 2020/03/01
السنة 42 العدد 11633

العرب منفتحون على الغرب منغلقون على ثقافات الجوار

المترجم الإيراني عظيم طهماسبي: الشرق العربي والتركي والإيراني يزخر بالأدباء والشعراء الكبار

بعض المثقفين العرب يتأثرون باصحاب السياسة ومواقفهم المطبوعة بالتوتر (غرافيكس «الجديد»)

عظيم طهماسبي مترجم إيراني معاصر اختص بترجمة الروايات العربية إلى اللغة الفارسية. حصل على شهادة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها من جامعة أصفهان عام 2015. يعمل كباحث علمي في دائرة معارف العالم الإسلامي في طهران وينشط كباحث وناقد في مجال الرواية العربية المعاصرة. شارك في ندوات داخل إيران لمناقشة الروايات العربية المترجمة إلى الفارسية.

ترجم إلى الفارسية رواية "ساق البامبو" لسعود السنعوسي و"دنيا زاد" لمي تلمساني، و"شوق الدرويش" لحمور زيادة. وترجم مسرحية "مصير صرصار" لتوفيق الحكيم، والمجلد الأول من كتاب "الرواية العربية: ببليوجرافيا ومدخل نقدي 1865–1995" لحمدي سكّوت، و"المقابلة الأخيرة" لإدوارد سعيد. ونظراً لأهمية العمل الذي يقوم به عظيم طهماسبي إلى جانب عدد من زملائه المترجمين الإيرانيين في مسعى لبناء جسور معرفية بين الثقافتين العربية والإيرانية، في ظل أحوال سياسية عاصفة وعلاقات مضطربة، رأينا أن نحاوره في بعض الملفات المهمة والساخنة على صعيدي المعرفة والسياسة.

جان دوست
كاتب سوري

الجديد: ترجمت من العربية إلى الفارسية رواية "واحة الغروب" للروائي المصري بهاء طاهر، ورواية "ساق البامبو" للروائي الكويتي سعود السنعوسي وكذلك رواية "دنيا زاد" للكاتبة المصرية–الكندية مي تلمساني وغير ذلك، سؤالي هو: ما هي المعايير التي تستعملونها في اختيار الروايات؟ هل هي الجوائز، شهرة الرواية أم ترشيحات النقاد أم غير ذلك؟

■ **عظيم طهماسبي:** فضلاً عن الروايات التي أشرتَ إليها نقلتُ أعمالاً أدبية ونقدية أخرى إلى الفارسية وهي: مسرحية "مصير الصرصار" لتوفيق الحكيم، و"الحوار الأخير لإدوارد سعيد" 2002، والمجلد الأول لكتاب "الرواية العربية ببليوجرافيا ومدخل نقدي 1865–1995" لحمدي سكّوت، ورواية "شوق الدرويش" لحمور زيادة، وأحدث أعمالي المترجمة التي تصدر خلال أيام قادمة هي روايتكم " ثلاث خطوات إلى المشنقة".

> **الخطوة الأولى في بناء جسور المعرفة هي أن يحرّر أدباؤنا عقولهم من الأفكار النمطية وانفتاحهم نحو الآخر العربي أو الفارسي أو التركي. عليهم ألا يفتشوا عن الأعمال الأدبية الكبرى لدى الكتاب الأوروبيين والأميركيين فحسب وإنما عليهم أن يعرفوا أن هناك في بلداننا أدباء وشعراء كبارا**

بالنسبة إلى المعايير يجب القول بأن شهرة الرواية وترشيحات أصحاب الروايات والجوائز لها أثر في اختياري للرواية المحددة غير أنني لا أحصر نفسي داخل هذه الدوائر. نقلت مسرحية "مصير الصرصار" دون الاكتراث بشهرة كاتبها والسبب يعود إلى أنني قرأت المسرحية ونالت إعجابي ومن ثمّ قررتُ ترجمتها إلى الفارسية. أريد أن أقول إنني لا أترجم رواية لم تنل إعجابي ولا يهمني وصول الروايات إلى الجائزة، والمعيار الأهم هو أن تتمتع الرواية بجماليات الأسلوب وتقنيات السرد وتلفت نظري. من جانب آخر بسبب ضيق الوقت والروايات العربية التي تصدر بأعداد هائلة في كل عام أفضّل اختيار روايات محددة للقراءة خاصة تلك التي لفتت انتباه النقاد العرب بقوّة وهذا يساعدني كثيراً على الترجمة أيضاً.

بين ثقافتين

● **الجديد:** كيف تصفون العلاقة بين الأدبين الفارسي والعربي؟ وما هي المشتركات بينهما. وما هي آليات تطوير هذه العلاقة نحو الأفضل.

■ **عظيم طهماسبي:** للإجابة المستفيضة على هذا السؤال أحتاج إلى سعة الوقت ورحابة المجال، باختصار أستطيع أن أقول إن علاقة الأدبين الفارسي والعربي تعود إلى فترة ما قبل الإسلام ونعرف أن نضر بن الحارث في زمن الرسول صلياالله عليه وآله وسلم كان يقرأ قصص وأساطير رستم وإسفنديار لإبعاد الناس عن القرآن وقد أشار القرآن إلى هذا الموضوع. بغض النظر عن السياق الديني لهذه القصص والمرويات فإنها تدل على العلاقات القائمة بين الأدبين الفارسي والعربي. وكذلك فإن وجود مفردات فارسية دخيلة في القرآن والشعر الجاهلي تعبر عن التواصل الثقافي والأدبي بين الثقافتين العربية والفارسية في فترة الجاهلية. بعد انتشار الاسلام في ايران وتغلغل اللغة العربية إلى مناطق بعيدة عن الجزيرة العربية اهتمّ الأدباء والمفسرون والعلماء الإيرانيون باستخدام اللغة العربية وقدّموا أعمالاً خالدة للثقافة الإسلامية. في فترة الحكم العباسي ترجم عدد من الأعمال الأدبية من البهلوية إلى العربية مثل كليلة ودمنة ونعرف أيضا كيف عبرت قصص ألف ليلة وليلة من إيران إلى العراق والشام.

إلى جانب هذه الاحتكاكات الثقافية نظم الشعراء والأدباء ذوو الأصول الإيرانية قصائد ومؤلفات شهيرة باللغة الفارسية وساهموا مساهمة كبيرة في إثراء الأدب العربي خلال بضعة قرون. كما أدى آخرون أمثال سيبويه دورا مهماً في وضع قواعد اللغة العربية وشرح المعلقات السبع.

إن اللغة الفارسية بعد سقوط الخلافة العباسية وسيطرة المغول كانت منتشرة بشكل لافت في مناطق مختلفة من الأناضول وآسيا الصغرى وبلاد ماوراء النهر إلى بلاد الهند والصين. وحسب ما ينقل لنا ابن الأثير فإن المغنين كانوا يرددون أبيات سعدي الشيرازي في الصين. إن الأدب الفارسي استمد كثيرا على مرّ القرون من اللغة العربية وآدابها وأغلبية الشعراء الإيرانيين يتقنون اللغة العربية ويلمون بأشعار العرب وينهلون من مشاربها. يقال إن أحب الكتب إلى مولانا جلال الدين البلخي/الرومي كان ديوان المتنبي. وحتى بعد أن حذّره مرشده الروحي شمس التبريزي من الكتب تركها جميعاً لكنه ظل يقرأ بين الحين والآخر قصائد المتنبي.

يحسن بي أن أركّز حديثي على عصرنا الحالي. فبعد التوسع الاستعماري في منطقتنا خلال القرنين التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين تغيرت العلاقات القائمة بين بلداننا على مختلف المستويات الاجتماعية والثقافية وتضاءل يوماً فيوماً اهتمام أدبائنا بثقافات جيرانهم.

وبعد مرور قرن من الزمن أو اكثر احتلت الثقافة الأوروبية مكانة مركزية في عقول أغلبية المثقفين في منطقتنا وتواكب هذا المدّ الثقافي –بغض النظر عن جوانبه السلبية والإيجابية– مع تجربة الاستعمار وكل ذلك أثر على خلفياتنا الفكرية.

وبالرغم من أن هذا الأمر كانت له جوانب إيجابية كبيرة لكنه أدى في النتيجة إلى الهيمنة الغربية ثم إلى ابتعادنا عن البعض حيث ولّى العديد من المثقفين وجوههم شطر الغرب فقط. لا أريد أن أوجّه اللوم إلى أحد الآن بما أن هذه الظروف وليدة عصرها.

ولكن في فترتنا الراهنة ما تزال عقول الكثيرين منا غير متحررة من تأثير مرحلة الاستعمار والأفكار النمطية المسبقة التي رسخها الاستشراق وعززتها سائر الأنظمة والأيديولوجيات القومية. يؤسفني القول إن العديد من المثقفين العرب ينغلقون على ذواتهم ولم أجد لديهم انفتاحا على ثقافات جيرانهم ومن ضمنها الثقافة الإيرانية. وقد أجد بعضهم يتأثرون بأصحاب السياسة ومواقفهم وربما لهذه الأسباب لا يهتمون بما نقوم به من نشاطات ثقافية للتواصل بين شعوبنا من خلال الترجمة والأبحاث العلمية.

إن الخطوة الأولى في بناء جسور المعرفة هي أن يحرّر أدباؤنا عقولهم من الأفكار النمطية وانفتاحهم نحو الآخر العربي أو الفارسي أو التركي. عليهم ألا يفتشوا عن الأعمال الأدبية الكبرى لدى الكتاب الأوروبيين والأميركيين فحسب وإنما عليهم أن يعرفوا أن هناك في بلداننا أدباء وشعراء كبارا لا يقلّون شأنا عن زملائهم في أميركا الجنوبية أو أوروبا وأميركا.

من جهة أخرى على المترجمين الذين ينقلون من العربية إلى الفارسية وبالعكس أن يختاروا أفضل الأعمال ويقوموا بنقلها بشكل جيد حتى يتزايد اهتمام القراء بالأعمال الأدبية من الجهتين. وفي عصر ثورة الاتصالات وتوسّع شبكات التواصل الاجتماعي صار بإمكاننا أن نجتاز العراقيل السابقة ونحاول توطيد العلاقات الأدبية بيننا.

أمل بالمستقبل

● **الجديد:** ما مدى إقبال القراء الإيرانيين على الروايات المترجمة بشكل عام والرواية العربية المترجمة بشكل خاص؟

■ **عظيم طهماسبي:** حسب اطّلاعي فإن اهتمام القراء الإيرانيين لا يختلف عن اهتمام القراء في الوطن العربي. مازالت الروايات الكلاسيكية لكبار الكتّاب من روسيا وفرنسا وإنكلترا وغيرها تتصدر اهتمامات القراء الإيرانيين.

وفي العقود السابقة كنا نجد اهتماما ملحوظا بالروايات المترجمة من أميركا اللاتينية خاصة.

أما في السنوات العشر الماضية فقد بدأ الاهتمام بشكل كبير بروايات الكتّاب اليابانيين وكتاب الشرق الأقصى وكذلك صرنا نجد إقبالاً واسعاً لدى القراء على الروايات التركية خاصة أعمال أورهان باموق وأليف شافاق.

وعلى سبيل المثال فقد بلغ عدد نسخ رواية "قواعد الحب الأربعون" للكاتبة أليف شافاق في الفارسية إلى مئة ألف نسخة وطبعت ترجمتها الشهيرة –من بين العديد من ترجماتها– أكثر من ستين طبعة.

حتى الروايات الكردية بدأت تستحوذ على اهتمام الإيرانيين أكثر من الروايات العربية. وحسب اطلاعي فقد طبعت بعض روايات الكردي العراقي بختيار علي أكثر من 15 طبعة.

أما بالنسبة إلى الرواية العربية فلم أجد حتى الآن إقبالاً واسعاً ولا أعلم إن كانت أيّ رواية عربية لنجيب محفوظ أو سائر الروائيين والروائيات العرب قد طبعت أكثر من خمس طبعات. الشيء الذي يلفت نظري هو أن بعض دور النشر –خلافاً لما سبق– تستقبل بحفاوة إصدار الروايات العربية المترجمة وحسب ما أتوقع فإن من الممكن أن تجد الرواية العربية في السنوات المقبلة مكانة تستحقها في ايران. وعلى كل حال ومقارنة بالعقد السابق فقد تزايد عدد الروايات العربية المترجمة إلى الفارسية بشكل واضح.

نعم ولا

● **الجديد:** برأيك هل يمكن للأدب أن يصلح ما تفسده السياسة؟ هل يمكن التخفيف من التوتر القائم بين إيران وكثير من البلاد العربية عبر خلق بيئة أدبية خصبة مشتركة بين الطرفين؟

■ **عظيم طهماسبي:** في الحقيقة إن الأدب وخاصة جنس الرواية بإمكانه أن يوسّع آفاق الناس ويجعلهم أكثر انفتاحاً وقبولاً للآخر وأكثر استعدادا للتعايش مع المختلفين. إذا أتيح لنا أن نثبت رسالة للأدب الروائي في زمننا الحالي فهو عندي تشحيذ الوعي وتعميق معرفة القارئ بحيث تمكّنه من التعرف على ضميره من خلال شخوص الروايات وكذلك تجعله يطلع على كوامن نفسه وفي نفس الوقت تجعله يطرح أسئلة تنمّي أفكاره وتساعده لترقية مشاعره وعواطفه.

إن للأدب دوراً كبيراً ولكن للأسف فتأثير الأدب عادة لا يتجاوز دائرة القراء ومن هنا نكتشف أن تأثير الأدب بالمقارنة مع السياسة قليل جدا وإن كان تأثيره أعمق وأبقى.

بالعودة إلى التاريخ نصادف خلال القرن الماضي الروائع الأدبية التي طبعت مرارا وتكرارا في ملايين النسخ ونعرف أن تأثير تلك الروائع الأدبية لم يكن حائلاً دون وقوع الفجائع والحروب في العالم. هذا الحكم الأولي لا ينفي تأثير الروائع الأدبية على حيوات الملايين من البشر أيضاً فكم من رواية دفعت بالقارئ إلى إعادة النظر في تصرفاته أو غيّرت نظرته إلى الحياة وإلى نفسه وألهمته أفكارا ومشاعر جديدة.

إذن فرسالة الأدب أو لنقل أثر الأدب على القارئ شيء لا يمكن إنكاره، لكن أن يصلح الأدب ما أفسدته السياسة فهذا، حسب ما نتابعه في الواقع، لا يحدث للأسف. السؤال الذي يتبادر إلى ذهني في هذا المجال هو هل يملك الأديب القدرة على إصلاح ما أفسده الساسّة؟ إجابتي تتأرجح بين لا ونعم أو كما يقول الفلسطينيون "لعم".

الأديب الملتزم حسب نوعية كتاباته يقوم بإصلاح نفسه وترقية أساليب كتاباته ولديه هواجس في اكتناه الأمور وإلقاء الأضواء على القضايا التي تطرحها ومن خلال هذه الرحلة، رحلته من النفس إلى النفس ومن النفس إلى البيئة وبالعكس ومن الكتابة إلى الواقع ومن الواقع إلى نوعية الكتابة او الحكاية أو الرواية. رحلته هذه تأتي بحقائق مهمة وإن كانت غير ثابتة والقارئ يشاركه في هذا الطريق ويحصل على ما لم يحصل عليه من قبل وهذا دور كبير يمكن أن نعيد فضله للروائي الذي عرف معنى الفن الروائي وشارك في ترقية ثقافة القارئ وتشحيذ وعيه وكما ذكرتُ قبل قليل فإن دائرة هذا التأثير تقتصر على القراء الحقيقيين كما ترتبط بمدى إقبال الناس على الكتاب وعدد النسخ المنشورة التي يتم تداولها.

> **لا أترجم رواية لم تنل إعجابي ولا يهمني وصول الروايات إلى الجائزة، المعيار الأهم هو أن تتمتع الرواية بجماليات الأسلوب وتقنيات السرد وتلفت نظري**

مزاج المترجم

● **الجديد:** هل الترجمة إلى الفارسية تتبع منهجية معينة؟ دعماً حكومياً مثلاً؟ أم أنها تخضع لمزاج المترجمين؟

■ **عظيم طهماسبي:** حسب ما أعرف فالترجمة من العربية إلى الفارسية –خاصة بالنسبة إلى الأعمال الأدبية– تخضع لمزاج المترجمين. جودة الترجمة ترتبط بعوامل مختلفة مثل مدى إلمام المترجم بالنص في لغته الأصلية وقدرته على انتقال النص بطريق أدبي وجميل يماثل لغة الأصل.

أما السياسة فلها قواعد تختص بها وقد نجد رجلاً سياسياً مثقفاً يعالج الأمور بطريقة المثقف الحرّ الذي لا يخضع لسطوة السياسة. على أيّ حال فإن تأثير الأدب عميق –وإن كان بطيئاً– على نفوس القراء، والأدب بغض النظر عمّا يترتب عليه من النتائج فهو ضرورة هامّة لنشر القيم الجميلة وإتاحة التواصل الثقافي بين البلدان والشعوب المختلفة. لقد اطلعت على آراء بعض القراء الإيرانيين فيما يخص بعض الروايات العربية المترجمة إلى الفارسية وأدركت من خلالها مدى تأثرهم بتلك الروايات وانفتاحهم على الثقافة العربية وهذا يثبت أهمية دور الترجمة قبل كل شيء وضرورة التواصل الثقافي بين ايران والبلدان العربية لأجل التخفيف من التوترات القائمة التي لا علاقة لشعوب بلداننا بها.

ينشر الحوار بالاتفاق مع «الجديد» اللندنية، والنص كاملا على الموقع الإلكتروني